الكاتب المغربي العربي بنجلون:

هرولة الأطفال وراء الإنترنيت سببها فراغ الحقل التعليمي والثقافي في الوطن العربي

القنيطرة ـ «القدس العربي» ـ من المصطفى الصوفي:

اشتهر الكاتب العربي بنجلون بإبداعاته الموجهة للأطفال، حيث كرس حياته الإبداعية لهذا الجنس الأدبي الجميل، ولهذه الفئة العمرية، وأصدر العديد من الكتب وصلت إلى حوالي خمسين إصدارا توزعت بين الشعر والقصة وغيرهما، ومن بين تلك المؤلفات نذكر على سبيل التمثيل «قصص من عالم الحيوان» الصادرة عن دار الثقافة بالدار البيضاء عام 1986، المجموعة الشعرية «أنغام الطفولة» مطبعة المعارف عام 86 ـ 1987، ثم النص المسرحي «الكنز» عام 1994 الصادر عن دار البوكيلي للطباعة والنشر بالقنيطرة، و«حكايات من ذهب» قصص شعرية عام 1998، هذا بالإضافة إلى مؤلفات نقدية كان أولها« تيارات الوعي في الأدب المغربي المعاصر» دراسات نقدية صدرت عن اتحاد الكتاب العرب عام 1983، ثم «النص المفتوح» قراءات في الأدب المغربي الحديث مطبعة الرسالة بالرباط 1986، «جدال وسجال» محاضرات، حوارات، ودراسات مطبعة المعارف الجديدة بالرباط1986، وكانت آخر إصداراته مسرحية «قاضي الأسرة» التي صدرت عن المجلس الثقافي البريطاني بالرباط، ومسرحيتان بعنوان «الممثل، الظل والشخصية» والتي صدرت عن مطبعة سلمى بالرباط.

العربي بنجلون من مواليد مدينة فاس عام 1948 عضو العديد من الجمعيات والإطارات الأدبية داخل وخارج المغرب، منها اتحاد كتاب المغرب، اتحاد كتاب العرب، جمعية الصحافيين العرب بهولندا، جمعية النقد الأدبي بسورية، ..الخ، مدير مجلة« كتابات الإبداعية»، وقريبا ستصدر له مجموعة قصصية بعنوان «الخلفية» وكتاب بعنوان « النقد الآخر»، ومسرحيتان للأطفال بسورية.

يعد الكاتب المغربي من الكتاب العرب النشيطين في الكتابة الأدبية الخاصة بالأطفال، شارك ويشارك في العديد من المهرجانات والتظاهرات الثقافية والفنية في الوطن العربي.

في هذا الحوار يعتبر العربي بنجلون أن الاهتمام بالأطفال والشباب في المغرب والوطن العربي ما يزال دون تطلعات المهتمين، وبالتالي على الجهات المسؤولة إيلاء الاهتمام الكبير للأطفال الذين يعول عليهم لبناء مستقبل الأمم، المجتمعات.

في هذا الإطار يعتبر العربي بنجلون أن استعمال الوسائل الترفيهية خاصة الانترنيت استعمالا خاطئا عند الأطفال يؤثر سلبا على منتوجهم ومستقبلهم، ومن ثمة ضرورة مراقبتهم، كما أن للمناهج التعليمية دوراً في بناء طفولة قادرة على تحمل المسؤولية وإنجاح مشاريع مجتمعاتها المستقبلية. في مدينة القنيطرة قدم العربي بنجلون محاضرة قيمة ضمن فعاليات الأسبوع الثقافي الكويتي التي اختتمت الأحد الماضي، وكانت محاضرته بعنوان« مجلات الأطفال بالعالم العربي: العربي الصغير نموذجا»، هناك التقينا الأستاذ بنجلون الذي يستعد للمشاركة في إحدى التظاهرات الخاصة بالأطفال في تونس، فأجرينا معه هذا الحوار، الذي يكشف فيه القناع عن بعض من تجربته الإبداعية، وعن اهتمامه بإبداعات الأطفال بشكل عام.

■ الأستاذ العربي بنجلون أنتم من المتخصصين في الكتابة الموجهة للأطفال، هل تعتقدون أن هذا اللون من الكتابة قادر على تهذيب الذوق العام للأطفال، وتكوين أجيال مثقفة قادرة على تحمل المسؤولية؟

■ هناك كتابة للأطفال في المغرب، إلا أن المشكلة تكمن في العلاقة بين القارئ الصغير والمنتوج الصغير فالموجة السائدة الآن تتمثل في هذا الإقبال الكبير على الانترنيت، وكل ما يتعلق بوسائل التكنولوجيا الحديثة خاصة فيما يتعلق بالحاسوب والتلفزيون وما إلى ذلك. هناك العديد من الكتاب يكتبون في هذا الموضوع ويتناولونه سواء من خلال الكتابة القصصية أو الشعرية أو الروائية، لكن المشكلة كما قلت تتمثل في هذه الموجة من الألعاب الإلكترونية والحواسيب والشبكة المعلوماتية التي تغزو كل المدارس والأندية والبيوت والأحياء، وأصبح في متناول الطفل أن يستفيد من هذه الخدمات بثمن زهيد، فلسنا ضد هذه النقلة النوعية، لأنه لا يمكن أن نبقى بعيدين عن التطور العلمي والتكنولوجي والمعلوماتي الذي يغزو كل أنحاء العالم، لكن الطفل الآن أصبح رهينة لهذا التكنولوجي، ولم يعد قادرا على تطوير معلوماته من خلال الكتاب والمجلة، بل إن الطفل أصبح يلعب أكثر مما يقرأ ويتوعى ويتثقف ويطور من مواهبه القرائية والعقلية والذهنية والنفسية، بمعنى أن استعمال هذه الوسائل من طرف الطفل المغربي استعمال خاطئ، بينما نرى أن الطفل في الدول المصنعة لهذه الإنجازات العلمية الحديثة يتعامل معها بحذر، بالرغم من كونه في موطنها الأصلي، إذ نجد في الولايات المتحدة أكثر من 340 مجلة، ويصدر منها حوالي 53 مليون نسخة، ونجد أن كتاب «هاري بوتر» قد طبع منه أكثر من خمسين مليون نسخة ووزع في جميع أنحاء العالم، وبلغات عديدة حتى العربية، بمعنى أن العالم المتطور ما زال متشبثا بالكتاب والمجلة، لأنه لا يمكننا أن نستغني عن الحرف والعين التي تلتقط الحرف، والفم الذي يقرأ الحرف، والعقل الذي يتدبر هذا الحرف، بينما نحن في المغرب والعالم العربي قفزنا قفزة أكثر من اللازم، واستغنينا عن الكتاب والمجلة وأقبلنا إقبالا خاطئا ومعوجا على هذه الإنجازات العلمية، وبالتالي علينا أن نغير من سلوكنا وسلوك أطفالنا خوفا عليهم من الانحراف.

■ هل يمكن القول أن الاستعمال الخاطئ للوسائل الإلكترونية الحديثة لدى الأطفال قد ينعكس سلبا على مستقبلهم التعليمي، مع العلم بأن لها إيجابياتها؟

■ لا ننكر الإيجابيات،... هناك فراغ في حقل التعليم والثقافة بالمغرب وفي حقل الرياضة أيضا، لا توجد هناك متنفسات ترفيهية أو تثقيفية أو تكوينية، وإن كانت فهي نادرة، وغير موزعة بشكل متساو بين المدن والمناطق المغربية، إذن أمام هذا الفقر الأدبي والثقافي يجد الطفل والشاب نفسه أمام خيار واحد وهو الهرولة نحو هذه الإنجازات العلمية والوسائل الإلكترونية الجديدة، وبالتالي يكون استعمالها من طرفهم استعمالا في غير موضعه، ربما قد تفيده، لأنه لا يطمح إلى أكثر من التواصل مع الآخر، ومعرفة ما يروج في العالم، لكن فضول الشباب والأطفال يقود إلى أشياء لا تحمد عقباها. سأعطيك مثالا، نحن نناضل من أجل حديقة نباتية، في أي مدينة من المدن تجد أناساً يتمنون هذه الحدائق، لكن في العديد من الدول المتقدمة نجد هناك حدائق نباتية، وأخرى علمية، وحدائق فيزيائية، وهذه الأخيرة بقدر ما تفتح مجال اللعب والترفيه للطفل، بقدر ما تلقنه مبادئ العلوم... في المغرب لا يحصل هذا، ونتمنى حدائق نستريح فيها ونشم هواء نقيا ولا نجدها ... إنها مشكلة. إذن أمام هذه الأزمة الخانقة وعدم الاهتمام بالطفولة والشباب، وقلة خلق فضاءات العمل الإبداعي ووسائل التثقيف الحقيقية، أمام هذا الفراغ والأزمة يجد الطفل والشاب نفسه وجها لوجه أمام هذا الصندوق العجيب والخطير ليغوص في بحر الشبكة العنكبوتية (الانترنيت) ليدخله، وهو غير معزز بأسلحة كافية حتى لا ينحرف وبثقافة علمية روحية أو علمية وأخلاقية للتعامل مع قد ما يصادفه في طريقه من منزلقات فكرية أو سلوكية.

■ وأين يتجلى دور الآباء في مراقبة أبنائهم في هذا المجال؟.

■ للأسف هناك العديد من الآباء لا يعرفون ماذا يفعل الأبناء، كثير منهم أميون، أقصد لا يدركون خطورة الإقدام على «الانترنيت» فكيف لهم أن يعملوا على توعية أبنائهم، ثم إن الكثير من الآباء يسهلون لأبنائهم ولوج هذا العالم، وذلك بإدخال الشبكة العنكبوتية إلى منازلهم، إذن كيف يمكن تفسير هذا المعطى؟.

إن العملية صعبة للغاية فانعدام المراقبة الحقيقية يؤثر على مستقبل الأطفال والشباب ليس في المغرب بل في الوطن العربي أيضا.

■ كعضو اتحاد الكتاب العرب شاركت في العديد من المهرجانات والندوات والتظاهرات الخاصة بأدب الأطفال. ما هي أبرز الاقتراحات التي تطرحها من أجل طفولة عربية، ناضجة، مثقفة وقادرة على تحمل المساهمة في بناء صرح بلدانها؟.

■ لا يمكن أن ننهض بثقافة الشباب والطفل، أو حتى بثقافة الكبار لأن البنية الثقافية العربية مهترئة، الإنسان العربي يلهث يوميا وراء لقمة العيش، واللباس، وملء البطن، فهذه الأمور اليومية، وهذا القدر غير الجميل، والحاجيات الحياتية يراها ضرورية، بينما الكتاب والمجلة، الثقافة، القراءة، الفن الرفيع، تبقى ثانوية، فلكي تغير من هذه الرؤية، والنظرة الدونية للثقافة والكتاب، والتي تعوق المجتمع من أجل بناء غد ومستقبل مشرقين، على الدولة أن تخصص ميزانية لتنمية الجانب الثقافي والفني الخاص بالأطفال والشباب، وإن كانت فتبقى زهيدة وغير كافية، حتى نعيد للطفل والشاب العربي الثقة في دور الثقافة في التغيير، وأعطيك مثالا فميزانية ثقافة الطفل في الولايات المتحدة تأتي في الدرجة الثانية بعد ميزانية التسلح، فهاتان الميزانيتان هما اللتان تشهدان كل سنة نموا مهما، وهنا نطرح السؤال لماذا تغدق أمريكا أموالا طائلة على أطفالها، لو لم تدرك أن مستقبل البلد في الطفل ومع الطفل، فبناء الإنسان يبدأ من الطفولة، وأمريكا تبني مجتمعها من خلال أطفالها، وفي الانتخابات الأمريكية نجد أن كل رئيس عندما يبدأ خطابه يبدأه بالطفل في أمريكا، وأوروبا يهتمون بالطفل، أما الطفل في العالم العربي فهو مهمش، ومقصي وبعيد عن اهتمامات المسؤولين، أقصد الاهتمام بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وبالتالي دائما تكون اقتراحاتي من خلال محاضراتي داخل وخارج المغرب الاهتمام بالطفل من جميع النواحي خاصة فيما يتعلق بالجانب التعليمي والثقافي.

■ وفي المغرب؟

■ هناك جمعيات كثيرة تهتم بالأطفال، وهناك مجلات، وبرلمان للأطفال، لكن كل ذلك لا يبشر بمستقبل زاهر للأطفال.

■ ولتغيير الأمور ماذا يمكن فعله لصالح أطفالنا؟ ـ

■ يجب على وزارة التربية الوطنية المغربية أن تغير مناهجها، وأن تطور هذه البرامج والمناهج، لأن حالتها الراهنة تدعو إلى الشفقة، ولا يمكن أن تنتج إلا البطالة والعطالة، ربما يعود ذلك إلى أن التصور العام للمغرب ينبغي أن يبقى كما هو، وأن يتمسك بالأمور من هوامشها، وألا يتعمق أكثر، ربما تكون هناك إشارات دورية على أن الأوضاع في العالم العربي وأفريقيا تبقى تقليدية وألا تتطور حتى لا تصبح هذه الدول منافسة للدول العظمى، ثانيا على وزارة الثقافة ألا تقتصر فقط على إصدار قصص ومجاميع شعرية بل يجب أن تؤسس مكتبة في كل حي من هذا البلد. وأعطيك مثالا عن «توني بلير» في حملته الانتخابية كان يعد بتشييد مكتبة في كل حي، حيث أنشأها، ووظف عددا من القيمين عليها، وبالرغم من تقدم أوروبا علميا وصناعيا فما تزال متمسكة بالكتاب، كوسيلة تقليدية للعلم والتثقيف.

■ أصدرتم العديد من الكتب للأطفال، هل تحسون أنكم قدمتم الشيء المهم أم أنكم دائما في بحث مستمر عما يهم الطفل حسب ظروف الزمان والمكان؟

■ العالم يتغير ونحن أيضا نتغير، وبالتالي فان إصداراتي هي الأخرى تتغير حسب الظروف، لقد كتبت ما يقارب خمسين مجموعة قصصية فيها ما هو علمي، نفسي، وديني بأسلوب حديث، وفيها الكثير من الجوانب الحياتية وفي كل يوم أكتشف أن هناك جانبا لم أتطرق إليه من قبل، وأن جانبا مهما ينبغي أن يلم به (بضم الياء)، فأتناوله في أشكال قصصية أو مسرحية أو شعرية متنوعة. طموحاتي دائما هي البحث الدائم عن الأشكال التي تبني شخصية الطفل في المغرب والوطن العربي، ولا يمكن أن أدعي الكمال في هذا الصنف الإبداعي الذي يحتاج إلى اهتمام.

■ وربما إلى ممارسة نقدية توجهه؟

■ بالفعل، في المغرب وفي العالم العربي، يوجد العديد من النقاد المتخصصين، هناك بعض الكتابات تحمل انطباعات وآراء، وأفكار قد تصيب أحيانا وقد تخطئ أحيانا كثيرة، بل إن كتاب الطفل هم أيضا لا ينطلقون من كتاباتهم الخاصة، إما يلخصون روايات قديمة أو قصص مترجمة، يعني غير متخصصين في الكتابة للطفل، لأن هذا النوع الأدبي في حاجة إلى تخصص ودراسة عميقة لنفسية الطفل وجوانب من شخصيته، فنحن الذين عملنا في ميدان التعليم، درسنا ما تيسر على يد مربين واحتككنا بالأطفال مباشرة، وحاولنا أن نمزج ما تعلمناه، لكي نوظفه في كتاباتنا، وهذا العالم يتطور ونحن نواكبه، ولا ندعي أننا أجدنا فيه مئة في المئة.

■ قريبا، تشاركون في إحدى اللقاءات الخاصة بأدب الطفل بتونس. ما نوع المشاركة التي ستقدمها وهل المغرب يساهم من جانبه في إثراء الخطاب الثقافي والتعليمي الطفلي في الوطن العربي؟.

■ سأشارك في تظاهرة خاصة تقيمها إحدى المؤسسات التي تصدر إحدى المجلات بتونس الهدف منها هو تطوير هذا المنبر الإعلامي الخاص بالطفل. السؤال المطروح هو كيف نستطيع أن نطور مثل هذه المنابر حتى تخدم مصلحة الطفل ليس فقط في شمال أفريقيا بل في العالم العربي، محاضرتي تحمل بعض الأفكار الجديدة الانتقادية، وأفكارا أخرى تسعى إلى بلورة الخطاب الموجه للطفل في تونس، وأنا من المساهمين في هذه المجلة ومنابر عديدة خاصة بالأطفال، الهدف الأساسي من كل هذه الكتابات والندوات والمحاضرات هو السعي إلى طرح أفكار متواضعة خدمة للطفولة والشباب العربي حتى يكون نافعا لنفسه ومجتمعه.

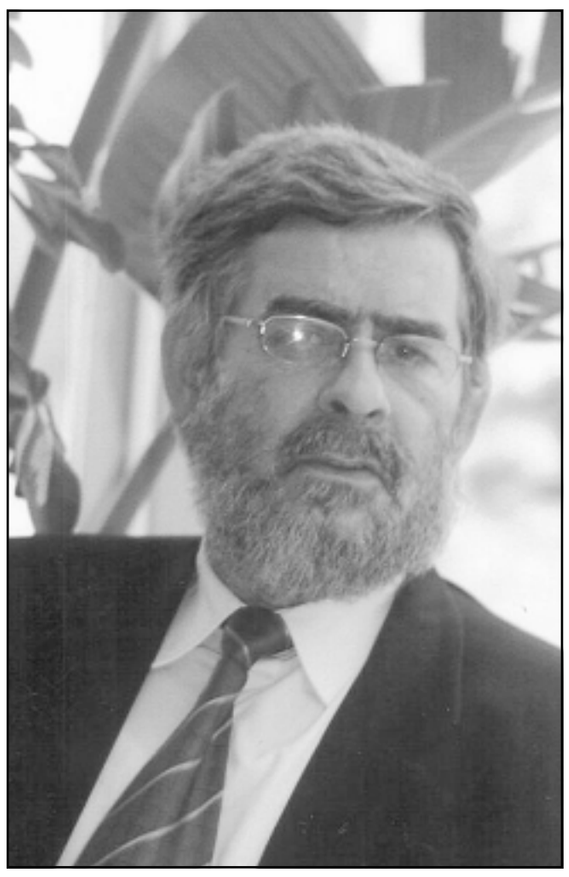

العربي بنجلون (القدس العربي)

تطبيق الأدب على التحليل النفسي

حسن المودن*

■ إذا تأمّلنا النقد الأدبي الحديث، سنجد أن المبدأ السائد الذي يبدو كأنه غير قابل للمناقشة هو أن النقاد يقومون بقراءة الأعمال الأدبية بواسطة نظرية خارجية مستعارة من علم التاريخ أو علم الاجتماع أو التحليل النفسي ... الخ.

والواقع أن الأدب أسبق في الوجود، فمن هوميروس إلى شكسبير وصولا إلى بروست والرواية الجديدة ونصوص التخييل الذاتي، ومن امرىء القيس إلى ابن الرومي والمتنبي ونصوص ألف ليلة وليلة وصولا إلى نجيب محفوظ والطيب صالح وعبد الله العروي ومحمد زفزاف ومحمد شكري...، نجد الشعراء والكتّاب يقدّمون فرضيات عن الإنسان والعالم. وفوق ذلك، فالأدب لا يكفّ عن الابتكار والإبداع، وهو ما يعني أنه يسمح باستمرار بإعادة النظر في المفاهيم والفرضيات التي تنطلق النظريات منها.

وإذا حصرنا الحديث في مجال تخصصنا، فان الربط بين التحليل النفسي والأدب قد أظهر إلى الوجود منهجين أساسيين: الأول، وهو السائد في الدراسات النقدية، يطبّق التحليل النفسي على الأدب. والثاني، وهو قليل في الدراسات النقدية، ينطلق من أن العمل الأدبي يتقدم النظريات النفسانية الحديثة.

واليوم، يبدو المنهج الثاني (2) أكثر قوة مقارنة بالأول، إذ لم يعد مقبولا إسقاط نظرية خارجية على النصوص الأدبية، وخاصة بعد أن ظهرت دراسات تعمل من أجل إنتاج النظرية انطلاقا من النصوص، وترفض أن تجعل من الأدب مكانا نؤكد من خلاله فرضيات التحليل النفسي ونتائجه، وذلك لأسباب جوهرية نذكر منها:

ـ أن الأدب هو أساس النظرية النفسانية، فمن دون الأدب لم يكن، ربما، ممكنا تأسيس التحليل النفسي، فقد كانت الفنون والآداب تمارس تأثيرا حقيقيا على س. فرويد، وميوله إلى التراجيديا الإغريقية والآداب الألمانية كان حاسما في تحديد عقدة أوديب ونظرية الحلم. وقد قام مؤسس التحليل النفسي بقراءة رواية أدبية (غراديفا لينسن) قراءة محايثة انتهى من خلالها إلى «أن الشعراء والروائيين هم أعزّ حلفائنا، ويجب أن نقدّر شهادتهم أحسن تقدير، لأنهم يعرفون أشياء بين السماء والأرض لم تتمكن بعد حكمتنا المدرسية من الحلم بها. فهم في معرفة النفس معلّمونا، نحن معشر العامة، لأنهم ينهلون من موارد لم نفلح في تسهيل ورودها على العلم» (1).

ولا يجب أن نتخيّل أن فرويد مجرد طبيب، يؤسس فكرة في شكل علمي، ولا علاقة له بالأدب. ففي زمانه، أواخر القرن 19، لم تكن دراسات الطالب العلمي منفصلة عن دراسات الطالب الأدبي كما هو واقع اليوم، وأغلب علماء ذلك العصر كان لهم تكوين أدبي صلب. ففي التعليم الثانوي تعلم فرويد لغات كثيرة، قديمة وحديثة (الألمانية، الإغريقية، اللاتينية، الفرنسية، الإنكليزية، العبرية. وتعلم في مرحلة متأخرة اللغتين الإيطالية والإسبانية). وقد أكسبته هذه اللغات الكفاءة الضرورية لمواجهة مشاكل اللغة، والحصول على ثقافة واسعة لا تنحصر في الأدب الألماني. ويكفي أن نشير إلى أن فرويد كان مولعا بقراءة الكتب منذ صغره، فقد قرأ شكسبير في الثامنة من عمره، وأعاد قراءته مرّات عديدة إلى أن صارت له القدرة على سرد فقرات كاملة من أعماله.

والأهمّ من هذا أن فرويد قد انطلق من النصوص الأدبية من أجل تأسيس نظرية نفسانية، وتعتبر أسطورة أوديب النص الأساس الذي قامت عليه هذه النظرية. والسؤال الجوهري الذي يطرحه أهل المنهج الثاني هو: ألا يمكن للنقد النفسي أن يعيد تشكيل النظرية النفسانية انطلاقا من إعادة قراءة الأعمال التي استند اليها التحليل النفسي، أو انطلاقا من نصوص أخرى لم يقرأها فرويد أو ظهرت بعد موته؟ وبعبارة أخرى، لماذا لا نستعمل الأدب لقراءة التحليل النفسي، ولاعادة بنائه وتقويمه وتجاوزه؟

من الضروري أن نأخذ بعين الاعتبار أن الأدب لا يكفّ عن الابتكار والإبداع، وأن هناك دوما «نظريات أخرى» في الأعمال الأدبية التي قد نعتقد، بشكل متسرّع، أن تأويلها قد تمّ بشكل تام وكامل.

كما أن هناك دوما «نظريات جديدة» في النصوص التخييلية تبقى قابلة للاكتشاف، ويمكنها يوما ما أن تتقدم على التحليل النفسي. ففي كلّ عمل أدبي، نجد ما يؤكد فرضيات التحليل النفسي ونتائجه، ونجد كذلك ما يعلن نهاية التأويلات التي يقدّمها النفسانيون للغة والأدب.

وبعبارة جامعة، إن النصوص الأدبية تفتح أفقا مستقبليا للتفكير، وذلك راجع إلى أنماطها وطرقها الخاصة القادرة دوما على الابتكار. وهي تسمح باستمرار بإنتاج الأفكار والمفاهيم: فإلى سرفانتس وفلوبير يعود الفضل في ظهور فكرتي: «مرض القراءة» و«المكان المشترك»، والفضل لبروست في التمييز بين «الأنا العميقة» و«الأنا الاجتماعية»، وبروتون هو صاحب فكرة «الحلم التنبئي»، ومع رامبو اكتشفنا وجود سكّان مقنّعين في دواخلنا العميقة سمّوا: «زوار الأنا» Les visiteurs du moi.

ويضاف إلى هذا أن النظرية النفسانية قد قامت أساسا على أعمال أدبية تنتمي إلى ثقافة واحدة من الثقافات الإنسانية العديدة، والسؤال الذي يفرض نفسه: ألا يمكن أن نعيد بناء النظرية النفسانية، أو نكتشف نظريات نفسانية أخرى، إذا جعلنا منطلقنا هو آداب الأمم الأخرى؟ وما الذي يفتح آفاقا جديدة للتفكير: أهو تطبيق النظرية النفسانية على آدابنا أم تطبيق آدابنا على التحليل النفسي بما يسمح لنا بإعادة بناء النظرية وربما تجاوزها انطلاقا من نصوصنا الأدبية؟

ومن اللافت للانتباه أن التحليل النفسي للأدب كثيرا ما اهتم بالنصوص التي يكتبها الرجل، في حين يعرف ما يسمى الأدب النسائي تقدما مهما في عصرنا الراهن، ودون السقوط في التمييز بين الجنسين، يمكننا، إذا انطلقنا من مبدأ الحقّ في الاختلاف، أن نطرح هذا السؤال: ألا يجوز أن يساعدنا الأدب النسائي على إعادة النظر في النظرية النفسانية، وتجاوز نظرية تقوم على نصوص الجنس الواحد من أجل التفكير في نظرية نفسانية تقوم على نصوص الجنسين معا؟

ـ أن التحليل النفسي لم يكن علما بالمعنى الدقيق، وهناك من الباحثين والباحثات (جاك لاكان، جاك دريدا، سارة كوفمان) من يذهب إلى أن مؤلفات فرويد تشكّل في مجموعها نصّا يتصف بخصائص النص الأدبي، فهو نصّ منفتح قابل لقراءات متعددة، ومثله في ذلك مثل النص الأدبي، فهو نص يلعب التخييل فيه دورا مركزيا.

لقد صدرت طبعة جديدة لكتاب فرويد «L homme Moise»، وتصدرت هذه الطبعة مقدمة مهمة للباحثة Marie Moscovicibينت من خلالها أن فرويد قد كان وضع عنوانا فرعيا لهذا الكتاب، وهو لا يخلو من دلالة: «Roman histo-rique»، وهو عنوان قد اختفى في الطبعات الموالية للطبعة التي أصدرها فرويد. وسجلت الباحثة التقارب الذي يجب أن يقام بين مفهوم «البناء» في التحليل ومفهوم «الرواية التاريخية».

وبعبارة جامعة، نقول إن فرويد قد نال جائزة غوته للأدب، لأن نصوصه كالنصوص الأدبية، تخفي وتكشف، وتستخدم التخييل، وتسمح بإبراز تشكلات الرغبة وجمالياتها.

واجمالا، إن النقد الأدبي يبقى في خطر إذا استمر في إسقاط النظرية على الأدب، ذلك أن تطبيق التحليل النفسي على الأدب يؤدي إلى تأكيد النظرية لا إلى فهم أفضل للأدب. فعندما نكتشف عقدة أوديب في عمل أدبي جديد، فان ذلك يعني تأكيد النموذج النظري لا إضاءة للعمل الأدبي تفتح أفقا جديدا للتفكير.

الفكرة المركزية التي لا بد أن ينطلق منها كل ناقد نفساني هي عدم تعنيف النصوص وإسقاط تأويلات مسبقة عليها، بل إن مهمته هي أن يجعلها مشوّقة، وأن يعمل من أجل أن تمتدّ معانيها في دواخلنا، وأن يساعدنا على أن نكتشف عناصر معرفة جديدة انطلاقا من النصوص، وأن يسخر باستمرار ودون رحمة من منهجه، إذ لا يجب أن ننسى أن التجربة النقدية تجربة فردية، وقد تتضمن ميولات لاواعية، عدوانية أو انفصامية أو غيرها.

إذا انطلق الناقد النفساني من ضرورة تطبيق الأدب على التحليل النفسي، وليس العكس، فان ذلك يستتبع أن يعتمد على منهج لا ينشد دوام الاستقرار، ويصرّ على فتح الطريق أمام احتمالات جديدة بعيدا عن المعيارية والنمذجة وإسقاط المفاهيم الجاهزة، وأن يدرك الاكراهات التي يمارسها النقد على النص، وأن ينتبه باستمرار إلى الدوافع اللاواعية التي تقف خلف قراءته النقدية، أي أن يسائل في كل مرة فعل القراءة نفسه، وأن يسعى إلى محاورة النصوص والإصغاء إليها، وأن يجعل من التخييل عنصرا فعّالا داخل النقد نفسه، فيصبح بذلك كتابة تسهم في توسيع امتدادات الخطاب الأدبي الذي يتمرّد دوما على الواضح والمسلّم به.

ولا نقصد بالفكرة التي طرحناها في هذه المقالة أن نستغني عن التحليل النفسي والعلوم الإنسانية، فهي علوم تبقى ضرورية من أجل أن نكتشف باستمرار أن الإنسان أكثر اتساعا من المعارف التي توصّل إليها، وأن الأدب لا يمكن اختزاله أو استنزافه في تأويل محدود، ذلك أنه المصدر الأساس الذي لا يكفّ عن إمدادنا بما يجعل معارفنا تتوسع وتتقدم.

* كاتب من المغرب

الهوامش:

1 ـ S Freud,Delire et reves dans la GRADIVA de JENSEN,NRF,1970,p127

2 ـ Pierre Bayard,Peut-on appliquer la litterature a la psychanalyse, ed Minuit, 2004

إصدارات مغربية

«الاسبانية واللهجة العامية المغبية»

الرباط ـ «القدس العربي»:

أصدرت مستشارية الحكومة المستقلة للأندلس معجما للكاتب والباحث الإسباني فرانثيسكو موسكوسو كارثيا حول «الإسبانية واللهجة العامية المغربية».

ويستهدف هذا المعجم الذي يقع في 285 صفحة من القطع الكبير وتوزعه حكومة الأندلس مجانا، الإسبان الراغبين في تعلم اللهجة المغربية إما بحكم تعاملهم المستمر مع المهاجرين أو بفعل أبحاثهم.

وجاء في مقدمة الكتاب أن اللهجات المغربية تأثرت على امتداد القرون الماضية باللهجات الأمازيغية، إذ تأثرت في الشمال بـ«تريفيت» وفي الوسط بـ«تامزيغت» وفي الجنوب بـ«تاشلحيث».

ومن أجل وضع هذا المعجم الذي يتضمن حوالي ستة آلاف مدخل، فقد تم الاعتماد حسب ما جاء في مقدمة المؤلف «على لهجة الشمال والوسط بصورة خاصة مع أخذ باقي اللهجات بعين الاعتبار».

وأشار الكاتب إلى دور العربية الوسطى في الحديث اليومي، خاصة بين الأشخاص الذين يتوفرون على مستوى تعليمي معين وكذا بفضل دور وسائل الإعلام.

وصدر للكاتب الذي ولد سنة 1970 بمدينة خيريث دي لا فرونطرا، ويعمل كباحث في شعبة الدراسات العربية والإسلامية بجامعة قاديس، متخصص في العربية المغربية، «دراسة لسانية للهجة العربية بسوس» و«دراسة لسانية للهجة العربية بالعرائش» و«اللهجة العربية بالشاون، دراسة لسانية ونصوص» و«حكايات باللهجة العربية لسبتة»، كما نشر عدة مقالات في مجالات علمية حول اللهجات المغربية بكل من طنجة وتطوان والرباط والصويرة.

الواقعي والمتخيل في الرحلة الاوروبية الى المغرب

■ تعتزم جامعة ابن زهر بأكادير إصدار الطبعة الثانية لكتاب «الواقعي والمتخيل في الرحلة الأوروبية إلى المغرب»، للباحث المغربي عبد النبي ذاكر، وذلك استعدادا للمشاركة في المعرض الدولي للكتاب الذي سيُعقد منتصف الشهر القادم بمدينة الدار البيضاء.

والكتاب عبارة عن دراسة صورلوجية مقارنة، عمدت إلى التحليل الأدبي لصورة المغرب في عيون الغرب، والغرب في عيون المغاربة ويتكون من خمسة أبواب: الباب الأول فصلان.

في الفصل الأول تم ضبط بعض المفاهيم الأولية، كالصورة والميث والمتخيل والواقعي والصورلوجيا، وعلاقة الرحلة بالمقارنة، وإشكالية الدرس الصورلوجي العربي والغربي، وتم في الفصل الثاني تفصيل المنهاج من خلال مراجعة ما سمي بأزمة الصورلوجيا، ومن خلال عرض عناصر المقترب: (الإرسالية، الباث، المتلقي، السياق، الرؤية).

أما الباب الثاني فتم تخصيصه للمستوى البنيوي للمتن الذي تمت معالجته في فصلين: الفصل الأول يتناول الإشكال البيبليوغرافي في ظل استراتيجية الشاهد والترجمة، والفصل الثاني يخص استراتيجية الإيهام بالواقعي.

في حين اختص الباب الثالث بدراسة الثيمات الكبرى للمتن، انطلاقا من المقاربة الدياكرونية لصورة المغرب في الرحلة الأوروبية من البدايات الأولى إلى حدود القرن العشرين.

وفي هذا الإطار عرض الباحث لصورة الأسير والسلاطين، وللخصائص السلوكية والعقدية والعقلية والسيكولوجية للمغربي. وقد خلصت الدراسة في الباب الرابع إلى تحديد دور المرسل والمتلقي في تشكيل الصورة الغيرية.

أما الباب الخامس فتضمن دراسة وتحليلاً للغرائبية المعجمية، ليختتم الكتاب باستنتاجات عامة حول أزمة الكتابة الرحلية الأوروبية ودرامية انسيتها وكذا حول أزمة الكتابة الرحلية المغربية التي سقطت في كمين سلطة الواقعي وواقع السلطة.

وأخيرا تم تذييل هذا الكتاب ببيبليوغرافيا هامة للرحلات الأوروبية إلى المغرب، وبصور ورسومات تخص هذه النظرة المتقاطعة التي جمعت أوروبا بالمغرب على فترات تاريخية متباينة.

«قراءات نقدية في الاصدارات القصصية التسعينية»

■ اصدر نادي القصة القصيرة بالمغرب كتابا نقديا جديدا يعنى بالتحليل النقدي لكتابات الجيل القصصي المغربي الجديد بعنوان «قراءات نقدية في الإصدارات القصصية التسعينية».

وتم إنجاز هذا الإصدار بدعم من وزارة الثقافة المغربية وبتنسيق مع دار البوكيلي للطباعة والنشر ,وساهم فيه كل من شكيب عبد الحميد وهشام حراك وأحمد بوزفور وحسن اليملاحي وبوسلهام الكط وعبد الحفيظ فرشاش وعبد الخالق عمراوي وعبد الله المتقي والمصطفى اجماهري.

كما ساهم في هذا العمل القصصي الجديد كل من الطيب هلو وعبد العزيز الراشدي وأحمد لطف الله وعبد الرحيم مؤذن ومحمد الزرايدي ومحمد الحاضي وعبد الغني فوزي وجنان درقاوي وعبد العاطي الزياني ونور الدين ضرار وهشام بن الشاوي ,ومصطفى لغتيري وإبراهيم الحجري وصلاح أنياكي أيوب ومصطفي يعلى.

معلماتي

حكمت الحاج*

معلماتي اللائي
يجعلنني أنام في الصفّ
أحبهن بأصواتهن
يهدهدن قلقي
أتوقف عن هزّ ساقي
من الملل أختلس
النظر إلى ماضيٍّ من
خلف الستارة
الإسكندنافية
فأجد نهرا عظيما
تحت سطحه المتجمد
مياه كثيرة تجري
أتوقف عند نافورة
الأيام مرَّ عليها
البرد فاستحالت
وحشة ليل وطريق
تمثال الحدادين
أمامي وخلفي
كل مدينة
البصاق والكلاب
والحديد
اختلس الحنين
إلى موانئ الشرق
اقرأ في ظلمة
الشمس والرياح
والليل والقمر
والنجوم والسحاب
والمطر والثلج
دليلَ المتحيرين.

* شاعر من العراق يقيم في السويد